مرتكزات صور الزواج الحضارية
في شعر العصر الجاهلي

إعداد

دكتورة / نهـــلة أحمد محمد خـــليل

المدرس بقسم الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالإسكندرية

nahlakhalil1980@gmail.com

عنوان البحث: مرتكزات صور الزواج الحضارية في شعر العصر الجاهلي
اسم الباحث: نهلة أحمد محمد خليل
الإيميل: nahlakhalil1980@gmail.com
الكلمات المفتاحية: الزواج – العصر الجاهلي – الشعر الجاهلي– المرأة.
التوصيف الوظيفي: المدرس بقسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

ملخص البحث

يستعرض هذا البحث صور الحياة الزوجية في الشعر الجاهلي بأبعادها النفسية والفكرية والشعورية والمادية ، ولكن بمنظور حضاري حداثي يتوافق مع عصرنا الحالي ومتطلباته الحياتية، ومع اتصاف المجتمع الجاهلي بعادات وتقاليد تختلف عن عصرنا الحالي، فقد كشفت بعض أشعارهم عن الكثير من العادات والتقاليد التي ينبغي التمسك بها وإعادة نشر فضائلها، وهي الصورة التي كان العربي وما يزال يحرص عليها، لهذا خضت مجال البحث مهتدية بالنماذج التي تفيد واقعنا وتتماشى مع عادتنا وتقاليدنا؛ لأني أردته أن يكون مرآة صافية تعكس الوجه الحضاري لذلك المجتمع.

Research Summary

The underpinnings of civilized marriage in the poetry of the pre-Islamic era

Dr. Nahla Ahmed Mohamed Khalil
The teacher in the literature and criticism department
College of Islamic and Arab Studies
For girls in Alexandria
nahlakhalil1980@gmail.com

This research reviews the images of marital life in pre-Islamic poetry with its psychological, intellectual, emotional and material dimensions, but with a modern civilizational perspective that is compatible with our current time and its life requirements, and with the pre-Islamic society being marked by customs and traditions that are different from our current time, some of their poems revealed many customs and traditions that should be adhered to and redeployed of their virtues, which is the image that the Arab was and is still keen on, so I went through the field of research guided by models that benefit our reality and are consistent with our custom and our traditions, because I wanted him to be a pure mirror that reflects the cultural face for that community.

key words:

Marriage - pre-Islamic era - pre-Islamic poetry - women.

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فلم تكن علاقتي بالأدب الجاهلي وليدة لحظة أو محض صدفة، ولكن بدأت صلتي بهذا الأدب عندما كنت طالبة في السنة الجامعية الأولى أدرس المعلقات السبع، التي تجلت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح كبير، وقد وقعت في نفسي موقعاً حسناً واستهوتني مثلما استهواني غيرها من روائع ذلك العصر، وحفظت كثيراً من نصوصه وتمثلت به في كثير من المناسبات .

ثم بدأت هذه العلاقة تتعزز يوماً بعد يوم، وأضحى اهتمامي بهذا العصر جزءاً لا ينفصل عن كياني ووجداني إذ وجدت في أدب هذا العصر المثل العليا والقيم الإنسانية النبيلة التي تنمي الذوق وتسمو بالوجدان، وترهف العاطفة، ومن ثم تعالج كثيراً من قضايا الواقع المعاصر الذى نحيا به الآن، مما دفعني إلى مد البصر إلى الشعر الجاهلي بدراسة عنوانها **:(** مرتكزات صور الزواج الحضارية في العصر الجاهلي **)**

واطلعت في أثناء دراستي على عدد غير قليل من المصادر والمراجع، وقد أفزعني ما في كثير منها من نماذج تعد في الحقيقة نواة لمعالجة مشكلات وقضايا تمس وضعنا الحاضر في المجتمع الحديث فيما يخص علاقات الأزواج، وقد أردت أن يكون هذا البحث مرآة صافية تعكس الوجه الحضاري لذلك المجتمع .

وكان مصدر هذه الدراسة هو الشعر الجاهلي الذي طالما وصف بأنه: " ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون ."[1]

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، طبعة دار المعارف،١٩٥٢م، ص ٢٢.

وكانت هناك تحديات كثيرة لإتمام هذا الموضوع منها صلاحية هذا الأدب لمعالجة قضايا الواقع الذي نحيا فيه الآن، والتحدي الأكبر: في أي صورة يمكن أن يُقَدم الأدب الجاهلي لمجتمعنا المعاصر؟ وكيف نمسك بزمام المبادرة في تقديم هذا الأدب إلى أبنائنا لحل مشكلاتهم ؟ وما العوامل التي تساعده للوصول إلى ذلك في عصرنا الحاضر؟ وكانت هذه نقطة البداية لاختياري هذا الموضوع ، فقد أثارت هذه الأسئلة في نفسي مجالاً للبحث والتفتيش عن النماذج الشعرية التي تعمل على مساعدة وصول مجتمعنا إلى حلول واقعية لكثير من القضايا التي تمس واقعنا المعيشي، وخاصة قضايا الزواج .

ومما لا شك فيه أن دراسة الأدب الجاهلي بهذه الطريقة سوف يرشدنا إلى تصور واقعي لما يمكن أن يفعله هذا الأدب بغية تلمس السبل والإمكانيات الواقعية لتجاوز العصر الجاهلي إلى الواقع المعاصر القائم الذي نحيا فيه الآن .

وكانت أهم أسبابي لاختيار هذا الموضوع:

أولاً: وجدت من النماذج الشعرية في العصر الجاهلي من علاقة الرجل بزوجه، ما فيه معالجة الكثير من القضايا التي تمس واقع الأسرة المعاصرة بأبعادها النفسية والفكرية والشعورية والمادية، ويتأتى هذا بالضرورة من خلال نقد هذه الأعمال الشعرية ولفت النظر إليها وتسليط الضوء عليها؛ لأن الأدب إذا كان مرآة لكل ما يدور في المجتمع فواجب النقد حينئذ التركيز على القضايا الإنسانية التي تشمله، ومن ثم نقل القارئ من عوالم الخيال التي عايشها في الأدب شعراً ونثراً إلى عالم الحقيقة فيحلق الناقد إلى فضاءات أخرى .

ويحمل بذلك الناقد ذلك الوجه الواقعي للعمل الأدبي على كاهله فيعالج واقع حياته بما حمله مضمون العمل الأدبي في أي عصر من العصور.

ثانياً: اكتسب الزواج في العصر الجاهلي أبعاداً ودلالات عميقة الأثر تصلح في مضمونها كتوجيهات لأبنائنا وبناتنا في حياتهم الزوجية أظهرتها قدرة الشاعر الفنية، وطاقاته الإبداعية ونجاحاته وإخفاقه في تجاربه الإنسانية.

وهذا ما قمت به من خلال قراءاتي في الشواهد الشعرية في العصر الجاهلي، فقد وجدت من متانة العلاقة والأساليب الحضارية التي يعامل بها الزوج زوجه بداية من اختيارها شريكة لحياته حتى انتهاء الحياة الزوجية بالموت أو الانفصال ما يستحق الدراسة فخضت مجال البحث مهتدية بالنماذج التي تفيد واقعنا وتتماشى مع عادتنا وتقاليدنا؛ لأني أردته أن يكون مرآة صافية تعكس الوجه الحضاري لذلك المجتمع .

ثالثاً: يأمل هذا البحث –أيضاً– أن يظهر عناية الشعراء الأزواج في العصر الجاهلي بزوجاتهم، وهى الصورة التي كان العربي وما يزال يحرص عليها، لعلني استطيع من خلال هذا البحث أن أقدم هذه القيم المثالية التي وجهت تفكيرهم، وحرصوا على بثها في شعرهم ؛ ليصنعوا منه نموذجاً لمعاملة الزوجة على مر العصور، فالجانب الإنسانيّ يبرز في نفس العربي بشكل خاص في علاقاته مع زوجه، ولعلّنا لا نجانب الصّواب إذا قُلْنا: لم تعرف أُمّة من الأُمم – دونما استثناء – حُرمة كالحرمة التي عرفها العربي لزوجه، ويخيّل إليّ أنْ ليس في أدب أُمّة من الأمم ما يرفع الزوجة إلى مصاف المآثر العظام مثلما رفعها الأدب العربي.

رابعاً: استجلاء صورة من صور الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي بمنظور حضاري حداثي يتوافق مع عصرنا الحالي ومتطلباته الحياتية، هذا المجتمع – الجاهلي – الذي تمتع بعادات وتقاليد مختلفة عن عصرنا الحالي ولكن كشفت بعض أشعارهم عن بعض العادات والتقاليد التي ينبغي التمسك بها وإعادة نشر فضائلها .

وبهذا يمكننا القول إن الشاعر الجاهلي أدرك أن الأدب رسالة سامية تقوم بما فيها من قيم فنية وأخلاقية وإنسانية، ولذلك يقول رائد الكلاسيكية الناقد الفرنسي بوالو: " لا تقدموا نفوسكم وعادتكم في أعمالكم الأدبية إلا في صورة نبيلة." (١)

خامساً: الاهتمام والعناية بالأسرة الزواجية صحياً ونفسياً واجتماعياً من أهم الموضوعات وأخطرها، وبها تكون تربية القادة في المجتمعات المتطورة، ونظراً لأهمية هذه الفترة التي يتم فيها إعداد وتهيئة الطفل ؛ كي يصبح رجل المستقبل وعماد الأمة أخذت من الشعر الجاهلي المعاني والأفكار أيام كان العرب في بداوة وسهولة سلوك وعفوية خواطر ورسوخ عادات وتقاليد وأعراف ؛ لنعرف كيف استطاع العرب المحافظة على استقرار أسرهم ليربوا أبنائهم تربية صحيحة .

وكانت أهدافي في هذا البحث هي :

١- معالجة الكثير من القضايا التي تمس الحياة الزوجية بأبعادها النفسية والفكرية والشعورية والمادية، ويتأتى هذا بالضرورة من خلال نقد الأعمال الشعرية في العصر الجاهلي، ولفت النظر إليها وتسليط الضوء عليها.

٢- دراسة الأدب الجاهلي بهذه الطريقة سوف يرشدنا إلى تصور واقعي لما يمكن أن يفعله هذا الأدب بغية تلمس السبل والإمكانيات الواقعية لتجاوز العصر الجاهلي إلى الواقع المعاصر القائم الذي نحيا فيه الآن.

٣- لفت النظر إلى عالمية الأدب الجاهلي وصلاحيته لجميع العصور والأزمان .

٤- إبراز العلاقة القوية بين الأدب والمجتمع.

---

(١) قراءة متعاطفة مع الشعر الجاهلي، سعد دعبيس، الصدر لخدمات الطباعة، مدينة نصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م، ص ١٧٢.

أما عن أهم الدراسات السابقة فاستطيع القول إن الدراسات في الأدب الجاهلي كانت كثيرة جداً، ومتنوعة للغاية، مثل كتاب الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، تأليف إبراهيم عبد الرحمن محمد [١]، والمرأة في الشعر الجاهلي، تأليف دكتور علي الهاشمي [٢]، والمرأة في الشعر الجاهلي، تأليف أحمد محمد الحوفي [٣]، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها لعبد الله عفيفي[٤] وغيرها من الدراسات، والتي مع أهميتها، إلا أنها ركزت على جوانب محددة في الفكرة العامة للبحث المنوط به الدراسة، والبحث يركز أكثر على عرض القيم والمثل العليا التي تتفق مع مفاهيم عصرنا الحالي في الأسرة الزواجية، كما أنه يحاول عرض المشكلة وطرق حلها في ضوء النصوص التي عرضتها في البحث كما سنرى .

كما أنني لم أتوفر على دراسة مستقلة خاصة أخذت على عاتقها مهمة البحث عن الجانب الحضاري في شعر الزواج في العصر الجاهلي والكشف عن جوانب الحداثة التي تمثلها الشاعر في قصيدته الجاهلية .

ولما كان الهدف الأساسي لهذا البحث هو الوصول إلى رسم الملامح الحضارية لصورة الزوج أو الزوجة ممثلة بصورة الإنسان الشاعر في بيئته الجاهلية، فقد كان الاعتماد الأكبر على الدواوين الشعرية للشعراء الجاهليين في طريق اختيار النصوص الشعرية المناسبة لموضوع البحث، والتي تخدم توجهاته وأفكاره الأساسية .

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، إبراهيم عبد القادر محمد، دار النشر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، بدون تاريخ .

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي، مطبعة دار المعارف، بغداد ١٩٦٠ م .

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٠.

(٤) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله عفيفي، مكتبة الثقافة – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ – ١٩٣٢م .

خطة البحث

جاء هيكل البحث موزعاً كالآتي:

الدراسة التمهيدية : تراثنا الجاهلي وقضايا عصرنا الحالي

والتي حاولت فيها إلقاء الضوء على أهمية الحفاظ على تراثنا الأدبي في العصر الجاهلي .

المبحث الأول: القيم الحضارية للزواج في شعر العصر الجاهلي، وضم الآتي:

- حق المرأة في اختيار شريك الحياة .
- مشاركة المرأة للزوج في أعباء الحياة .
- تقدير الزوجة واحترامها .
- الإقرار بملكية البيت للزوجة وعدم إهانتها وضربها .

المبحث الثاني: القيم الحضارية للخلافات الزوجية في شعر العصر الجاهلي.

وضم الآتي:

- الخلافات الزوجية وطرق حلها .
- الطلاق وقرار الانفصال بين الزوجين .

ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وثبت المصادر والمراجع، وفهرس عام.

وأدعو الله العلي القدير أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكلله بالقبول، ويوفقني إلى ما يحبه ويرضاه، وله الحمد أولاً وآخراً، وهو نعم المولى ونعم المصير .

الدراسة التمهيدية

تراثنا الجاهلي وقضايا عصرنا الحالي

ترك العرب في العصر الجاهلي ثراثاً ضخماً غنياً هو ثمرة جهود إنسانية واسعة وهو الأدب الجاهلي الذي يعد أحد التيارات الثقافية في أدبنا العربي، ومادة هذا التراث هي اللغة العربية الغنية بمفرادتها، والتي جمعت هذا التراث ووحدته وحفظته .

وقد لعب الأدب الجاهلي دوراً إنسانياً بما قدمه وأضافه من موضوعات تمثل الفكر الإنساني نظرياً وعملياً في مختلف مجالات الحياة، كما أنه شمل مختلف الطبقات الاجتماعية والتيارات الفكرية، مما يتطلب العمل على إعادة دراسة هذا التراث بما يتوافق مع متطلبات العصر الحديث واحتياجاته، وتوظيفه لخدمة حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها .

ويدلنا على خُلق الناس قبل الإسلام، وعلى ما كانوا يتسمون به من قيم عليا – ما قاله الرسول– ﷺ– لأبي بكر: " يا أبا بكر، أيّةُ أخلاق في الجاهلية هذه، ما أشرفها ! بها يدفع الله عزّ وجلّ بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم." (١)، وقول عمرَ بن الخطاب – رضي الله عنه–: " إني لأعلم متى تهلك العرب، إذا جاوزوا الجاهلية فلم يأخذوا بأخلاقها، وأدركوا الإسلام فلم يَقُدْهُمُ الورع." (٢)

ولا يزال للشعر العربي في العصر الجاهلي مجال خصب للدراسة والتحليل، ويمتلك قدرة على إنتاج فضاءات لقراءات متعددة بتنوع القراء واختلاف مراحلهم الزمنية، فهو محط أنظار الدارسين ومهوى أفئدة الباحثين، يستهوى قلوبهم وعقولهم، ويستأثر باهتمامهم وعنايتهم، ينهلون من معينه الذي لا

(١) دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة مصر الجزء الثاني ١٩٧٠م، ص٢٤٣ .

(٢) السابق، ص٢٤٣.

ينضب، ويحرصون على سبر أغواره، واستكناه أسراره حتى غدا يشغل حيزاً كبيراً في أبحاثهم ودراساتهم الأدبية على اختلاف عصوره .

وبغض النظر عن التباين في طرائق الباحثين وتوجهاتهم في استقراء النصوص وتحليلها، سواء كانوا عرباً أم مستشرقين، فقد ظلت دواوين الشعر العربي القديم محجّهم جميعاً يردون مناهلها، ويجدون فيها ما يشفي الغلة ، ويطفئ الظمأ، ويشبع النهم، ويؤجج الجدل في كثير من قضاياه التي لا زالت مآلا للبحث والتمحيص والتحليل .

المبحث الأول

القيم الحضارية للزواج في شعر العصر الجاهلي

العناية بدراسة الحياة الاجتماعية في جميع المجتمعات مهمة للغاية حيث إنها تشكل الركيزة الأساسية في المجتمعات الحالية، والزواج يعد أحد المظاهر الاجتماعية الذي له أثر في حياة الإنسان، فالزواج قديم قدم الإنسان ووجد معه، ويعد من أهم أفراحه، كما أن الغاية الأساسية منه هي تكوين الأسر، التي من خلالها تنشأ المجتمعات .

وكان للعرب في الجاهلية تقاليد في حياتهم الاجتماعية تشكل قوانين تلك الحقبة وذلك لشدة تعلق الفرد بالقبيلة وحرصه على احترام تقاليدها، كما أنه كان شديد الغيرة على سمعة قبيلته بين القبائل الأخرى، وقد بدت المرأة عند كثير من شعراء العصر الجاهلي سامية النفس، رفيعة القدر، مشاركة في بناء الحضارة العربية المجيدة، وكان حب الزوجة هو الأسمى الذي لاتشوبه شائبة، ولا تشينه علاقة منحرفة. فشريكة الحياة تشعر مع بعلها بالمودة والمحبة، وتشاركه في بناء أسرة على أسس سليمة وقويمة، وقد حافظ المجتمع الجاهلي بصورة عامة على الزوجة، فصور حقوقها وما يجب أن تتمتع به من بر ومعاملة حسنى وقد أدرك الشّاعر الجاهليّ الأسباب التي تؤدّي إلى تفسّخ بنية المجتمع، وتخلخل نسيجه الاجتماعيّ، فبثّ في أَبنائه، وأَبناء مجتمعه، قيما سلوكيّة عُلْيا، تؤدّي المحافظة عليها إلى استقرار العلاقات الاجتماعيّة، فيغدو المجتمع قويّا متماسكاً.

وقد تمسكت بالتقاليد والأعراف التي أقرها الإسلام، ولا زلنا نسير عليها حتى وقتنا الحاضر، فقد احترم الإسلام كثيراً من القيم المعروفة في العصر الجاهلي وأقرّها وأضفى عليها من الدلالات ما يتناسب مع مبادئه الخالدة، وعلينا في عصرنا الحاضر أن نعمل على تنمية هذه القيم في مجتمعنا وتثبيتها في نفوس أبنائنا ومن هذه القيم:

- **حق المرأة في اختيار شريك الحياة .**

واهتمام الشعر الجاهلي بهذه القضية هو في الحقيقة اهتمام بالنواة الأساسية المكونة للأسرة، فبداية الأسرة برجل وامرأة اجتمعا على قدر كبير من التفاهم ، والأسرة هى اللبنة الأساسية للمجتمع، وعليها تنشأ الحضارات وتعلو القيم .

وكان التمتع بالحرية في اختيار شريك الحياة من الحقوق المشروعة في المجتمع الجاهلي، ولم يكن هذا الأمر مقتصراً على الرجال فقط بل عرف هذا الحق لبعض النساء أيضاً،ومن الشعر الدال على ذلك قول عتبة بن ربيعة [١] يخاطب ابنته هند، وقد خطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب:

أتاكِ سهيلٌ وابنُ حربٍ وفيهما رِضاً لك يا هندَ الهُنود ومَقْنعُ
وما منهما إلا يُعاش بفضلِهِ وما منهما إلاّ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
ومامنهما إلا كَريمٌ مُرَزَّأٌ[٢] وما منهما إلاَ أَغَرُّ سمَيْدَعُ[٣]
فدونكِ فاختاري فأنت بصيرةٌ ولا تُخدعي إنَّ المُخادعُ يُخدعُ[٤]

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول، ينظر الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢م .الجزء الثالث ص٨٨.

(٢) مرزأ: أي كريم يصاب منه كثيراً، لسان العرب مادة / رزأ .

(٣) السميدع: السَّيِّدُ الجميل الجسيم وقيل هو الشُّجاعُ، لسان العرب مادة /سمدع .

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته، ورتب فهارسه أحمد أمين وزميلاه، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٦٥م،الجزء السادس، ص ٨٧ .

فالشاعر يعد اختيار الزوج من خصوصيات المرأة وإن إجبار ابنته على الزواج بمن لا تريد لا يجوز، فهو ظلم لها وتعد على حقوقها فلها الحق والحرية في قبول أو رد من يخطبها، كما تخبرنا الأبيات عن صدق تفاعل الأب مع ابنته ورفقه بها الذى أنتج موقفاً إنسانياً عميقاً أفصح عن خلجات نفسه في لحظة حاسمة من حياة ابنته، وقد جعل هدفه الأول هو حياة ابنته وسعادتها .

كما لم ينس الأب تدليل فتاته وهو يحدثها؛ حتى تشعر بالراحة والطمأنينة وظهر هذا جليا في تكراره اسمها على صيغة الجمع تعظيما وتدليلا وأنساً لها، (يا هِند الهنود).

كما نلحظ دقة الشاعر في اختيار كلمة (**بصيرةٌ**) التي تنفي عن البنت صفة السذاجة والسطحية في اختيار الزوج، حتى لا تختار بالشكل فقط، والذي ينتج عنه في كثير من الأحيان خلل في العلاقة الزوجية، ولكن ينبغي أن تفكر بطريقة أكثر عملية في حياتها، فالشكل الخارجي للأشياء ينتهي مع مضي الزمان، فالجمال زائل، والمظاهر البراقة زائلة، والديكورات الخارجية لأعمال الحياة زائلة، ولن يبقى إلا الأصل، فهو الذي يجب أن تتوجه إليه مقاصدها، وتبذل من أجله تفكيرها، وتقصد من خلاله اختيارها.

كما أن كلمة (**بصيرةٌ**) لها دلالة أخرى توحي بمسؤولية البنت عن اختيارها، وتحملها قراراها، وتحذيرها من سوء الاختيار، فيكون اختيارها حجة عليها بعد ذلك، ومنه قوله تعالى:" بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ" [١] أي أنه شاهد على نفسه، وجوارحه حجة عليه. [٢]

(١) سورة القيامة، آية ١٤ .

(٢) أحكام القرآن، لأحمد بن علي المكنى بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء الكتب العربية، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، المجلد الخامس، ص ٥٥.

واهتم الأخ – أيضاً – بضرورة اختيار زوجاً مناسباً لأخته، فهذا امرؤ القيس[١] الذي أظهر الحرص على زواج أخته زواجاً يليق بها، فدعاها إلى اختيار زوجاً يكون وسيماً عاقلاً شجاعاً قوي البنية الخُلقية والخِلقية.

أيـــا هِنـــدُ، لا تَنْكِحـــي بوهَـــة عَلَيْـــهِ عَقيقَتُـــهُ، أحْسَـــبا
مُـــــرَسَّعةٌ بـــينَ أرْســـاغِهِ بـــه عَسَـــمٌ، يَبْتَغـــي أرْنَبـــا
ليجعـــلَ فـــي رجلـــهِ كعبهـــا حـــذارَ المنيـــةِ أن يعطبـــا [٢]

والبوهة طائر يشبه البومة، ويشبه بها الرجل الأحمق[٣]، والعقيقة الشعر الذي يولد به الطفل[٤]، والمراد أنه لا يتنظف، والأحسب الذي ابيضت جلدته من داء ففسدت [٥]، والمراد أنه قبيح المنظر، والترسيع وهو سير يضفر ويرسع ثم يشد على الساق، والمراد أنه جاهل يظن أن كعب الأرنب إذا علقه دفع عنه الموت، وكانت عليه واقيةٌ؛ لأَنَّ الجنَّ تهرب منها[٦]، وعلى كل فهي صفات مذمومة للرجل الضعيف الذي لا خير فيه عند العرب، وكله تحذير للبنت من الزواج من رجل ضعيف الجسد والنفس، ومن زوج لا يتحمل المسؤولية حتى ولو كان المهر كثيرا .

---

(١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي، الأعلام للزركلي، الجزء الثاني، ص ١١.

(٢) ديوان امرؤ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، الناشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥– ٢٠٠٤ م، أعده محمد العلوة، ص١٤٥ .

(٣) لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقى المصرى – دار الحديث القاهرة، سنة ٢٠٠٣م، مادة: بوه .

(٤) لسان العرب ، مادة : عقق .

(٥) لسان العرب، مادة: حسب .

(٦) حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء كمال الدين الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، الجزء الأول، ص ١٥٦.

وتدلنا هذه النماذج على أن الفتيات لابد أن يتمتعن بقوة الشخصية وإبداء الرأي في الزواج دون حرج أو وجل، ولا يكون هذا الأمر مقتصراً على الرجال فقط ؛ لأن هذا الحق كفلته لها الطبيعة الفطرية كإنسانة فكيف يريد البعض أخذه وسلبه منها الآن .

- **مشاركة المرأة للزوج في أعباء الحياة .**

أظهرت بعض الأبيات الشعرية صورة المرأة التي تشارك زوجها أعباء الحياة وتتحمل تنظيم المعيشة معه.

يقول الشاعر عمرو بن كلثوم [١]:

بَكَرَتْ تَعْذُلُني وَسْطَ الحِلالِ ... سَفهاً بِنتُ ثُوَيْرِ بن هِلالِ
بكَرَتْ تَعْذُلُني في أن رَأَتْ ... إبلي نَهْباً لِشَرْبٍ وفِضَالِ
لا تلوميْني فإني مُتْلِفُ ... كلَّ ما تَحْوي يَمِيني وشمالي
لستُ إنْ أَطْرَفْتُ مالاً فَرِحاً ... وإذا أتلفتُهُ لَسْتُ أبالي
يُخْلِفُ المالَ- فلا تَسْتَيْئِسي ... كَرِّيَ المُهْرَ على الحيِّ الحِلالِ
وابتذالي النَّفسَ في يوم الوغى ... وطِرادي فوقَ مُهْري ونِزالي
وَسُمُوِّي بخميسٍ جَحْفَلٍ[٢] ... نَحْوَ أعدّائي بِجَلّي وارتحالي[٣]

فالزوجة تلوم زوجها على الإنفاق ؛ لكونه أكرم الناس فقد جعل إبله وشرابه متاحة للجميع، والزوج يرى في عتابها تجاوزا منها؛ لأن المعتاد أن الزوجة تلوم زوجها عندما تنفرد به لكنها هنا لامته أمام كل الناس (الحلال)

(١) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة، وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد. وكان من أعز الناس نفسا، وهو من الفتاك الشجعان، كتاب الأعلام، الجزء الخامس، ص ٨٤.

(٢) الجحفل / الجيش العظيم، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الصباح بدمشق، تاريخ النشر ١٩٨٤م، ص٢٢٣.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة د/ علي أبو زيد – دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م ، ص ٦٥.

فكان وقع اللوم عليه شديداً، وسفه الشاعر هذا العمل من زوجه (بنت نوير بن هلال)، ولم يعتذر منها، فقد أعلن صراحة أمامها أنه متلف ماله بل كل ما تحتويه يداه، وهو مؤمن بهذا المبدأ؛ لأنه قادر على كسب المال من غزو الأعداء وانتهاب أموالهم ، والشاعر لا يفرح إذا جمع مالا كثيراً ولا ييأس إذا أتلف هذا المال كرامة وحباً للضيف أو للأهل أو الأقارب ؛لأن الأعمال الطيبة هي التي تبقى وتذكر، والمال مغادر لا يبقى.

وفي الأبيات قيم حضارية وأخلاقية عالية، فلوم الزوجة زوجها على الإنفاق دليل على أن ذلك من حقوقها. وتكرار الشاعر عبارة: **(بكَرَتْ تَعْذُلُني)** في البيت الثاني مرة أخرى دلالة على غضبه وجزعه من لومها له أمام الناس، فمع كون الزوج هو صاحب المال والقادر على كسبه لكنه لم يستاء من زوجه وحرصها على ماله، وتوفيرها له، ولكنه استاء من لومها له في جمع من الناس، وهو ما يدل على ضرورة احتفاظ كلا الطرفين بالخصوصية والسرية في علاقتهما، وهو ما أكد عليه الإسلام بعد ذلك.

كما أن رد الشاعر على زوجه شارحاً لها أسباب حبه للإنفاق وبذله للمال فيه احترام للزوجة وتقدير لها، ومعاملة لعقلها فهي ذات كيان يجب مناقشته، والحوار معه وإقناعه بالأسباب .

- **تقدير الزوجة واحترامها .**

حافظ المجتمع الجاهلي بصورة عامة على الزوجة، فصور حقوقها وما يجب أن تتمتع به من بر ومعاملة حسنى، والمحافظة على الزوجة كانت مظهراً من مظاهر البطولة الاجتماعية لدى العربي في العصر الجاهلي الذي كان حريصاً على أَنْ يحمي زوجه ويدفع عنها أي شر، وولاية الزوج عليها هي ولاية اهتمام وعناية لا ولاية استبداد وإكراه، وقد عبر الشعراء في العصر

الجاهلي عن ولاية الزوج لزوجه بألفاظ كثيرة تدل على الحب والانتماء، وليس السيطرة والاستعباد، يقول الأعشى [١]:

لَهَا مَلِكٌ كانَ يَخْشَى القِرَافَ[٢] إذا خالطَ الظّنُّ منهُ الضّميرا
إذا نزلَ الحيُّ حلّ الجحيشَ[٣] شقيّاً غويّاً مبيناً غيورا
يقولُ لعبديهِ حثّا النجا، وَغُضّا مِنَ الطّرْفِ عَنّا وَسِيرَا
فليسَ بمرعٍ على صاحبٍ وَلَيْسَ بمَانِعِهِ أنْ تَحُورَا
وَلَيْسَ بِمَانِعِهَا بَابَهَا، وَلا مُسْتَطِيعٍ بِهَا أنْ يَطِيرَا[٤]

والصور كلها حضارية راقية صور فيها الشاعر الفتاة مع زوجها الغيران، الزوج الذي يخاف مخالطة الأقارب بالسكن، ليتجنب التهم، وهو ما حثنا به النبي صلى الله علية وسلم بعد ذلك، ثم الزوج الذي يتنحى عن الناس ليدفع عن زوجه الأذى، الغيور الذي يغار من عبديه على زوجه، ويقول لهما أسرعا الخطا وغضا طرفكما عنها في المسير، فهو حريص على زوجه غيور عليها؛ حتى تنأى بنفسها عن الشبهات.

---

(١) اسمه قيس بن جبرة بن قيس بن منقذ بن طريف ابن عمرو بن قعين جاهلي. وهو جد عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى الشاعر الأسدي، وكان قيس الأعشى شاعراً مذكوراً معروفاً، معجم الشعراء، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، المحقق فاروق أسليم، الناشر دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م ، ص ٦٤.

(٢) قارف الشئ: قاربه وخالطه، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، حرف (القاف)، مادة (قرف).

(٣) جحيش: أي متنحي عن الناس، لسان العرب، مادة جحش .

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ٢٠١٠ م، ص٢٧٠ .

كما أجاد الشاعر التعبير عن اقتران غيرته بالثقة في قوله: **(وَلَـيْسَ بِمَانِعِهَا بَابَهَـــــا)** فهو مع غيرته عليها واثق بها، فهو لا يمنعها بابها، ولو استطاع لطار بها عن كل الوجود .

وكأن هذه الصفات المجتمعة في غيرته مع خوفه وحرصه عليها وكامل ثقته بها دليل وبرهان على وصفه لنفسه في البيت الأول بأنه (**مَلِك**)، ومن كان ملكاً فزوجه الملكة لا محالة.

وهكذا كان حال العرب في الجاهلية قبل الإسلام يحافظون على كرامتهم، ويغيرون على أعراضهم، وبعد أن جاء الإسلام أقر هذه الغيرة، وطهرها وقومها مما خرج منها عن الاعتدال، يقول الرسول ﷺ: "إنَّ منَ الغَيرةِ: ما يحبُّ اللَّهُ ﷻ، ومنها ما يُبغِضُ اللَّهُ ﷻ، فأمَّا الغَيرةُ الَّتي يحبُّ اللَّهُ ﷻ: فالغَيرةُ في الرِّيبةِ، وأمَّا الغيرةُ الَّتي يبغضُ اللَّهُ ﷻ: فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ ." [(١)]

ومرة أخرى كان الزوج أمير لزوجه في قول الشماخ [(٢)]:

فإنْ تكُ قد شَطَّتْ وشط مزارها وجَـذَمَ حَبْـلَ الوَصْـلِ منهـا أميـر [(٣)]

وكما لاحظنا في هذه الأبيات أن العلاقة بين الزوجين هي علاقة حب وإعزاز لا علاقة استبداد واستعباد، فإذا كان الزوج ملك عند الأعشى أو أمير عند الشماخ فزوجه هي الملكة أو الأميرة لا محالة .

---

(١) المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ ومسانيد الحميدي وسنن الدرامي، وصحيح بن خزيمة، المؤلف: بشار عواد معروف – السيد أبو المعاطي النوري – أحمد عبد الرازق عيد، أيمن إبراهيم الزاملي – محمود محمد خليل، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، الجزء التاسع، ص ٤٩٦.

(٢) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقا. وكان أرجز الناس،الأعلام للزركلي، الجزء الثالث، ص ١٧٥.

(٣) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهاوي، دار المعارف مصر، ٢٠٠٩م، ص١٦٥.

وفي المقابل كانت الزوجة جارة ، كقول الشاعر عمرو بن قميئة [١]، يخاطب زوجه سليمى:

أرى جارتي خَفّتْ، وخفّ نَصيحُها وحبّ بها، لولا النّوى، وطُمُوحها[٢]

وفي لسان العرب: والمرأة جارة زوجها ؛ لأنه مؤتمر عليها، وأمرنا أن نحسن إليها وأن لا نعتدي عليها ؛لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر، وصار زوجها جارها ؛ لأنه يجيرها ويمنعها ولا يعتدي عليها.[٣]

كما كانت مخلصة كريمة تراعي زوجها، وتبتعد عن الفواحش، وتحافظ على أسرتها الزواجية، يقول الشاعر عمرو بن شأس [٤]:

ظعائن[٥]من ليث بن بكر كأنها دمى العين لم يخزين عماً ولا بعلاً

هجان إذا استيقظن من نومة الضحى قعدن فباشرن المساويك والكحلا [٦]

وقد أجاد الشاعر هنا في وصف الزوجة العفيفة كريمة الحسب النقية **(الهجان)**، التي تكرم زوجها فتصون بذلك أسرتها الزواجية وأسرة أبيها، كما أنها حريصة على تقوية رباط الحب بينها وبين زوجها فتهتم بزينتها ونظافتها .

---

(١) عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزاري: شاعر جاهلي مقدم نشأ يتيما، وأقام في الحيرة مدة، كتاب الأعلام للزركلي، الجزء الخامس، ص ٨٣.

(٢) الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مطبعة دار المعارف، مصر ١٩٦٦م، الجزء الأول،ص٣٧ .

(٣) لسان العرب، مادة / جور .

(٤) عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، شاعر جاهلي مخضرم، أدرك الاسلام وأسلم ، الأعلام للزركلي، الجزء الخامس، ص ٥٠ .

(٥) سميت النساء ظعائن لأنهن يكن في الهوادج، لسان العرب ، مادة / ظعن .

(٦) شعر عمرو بن شأس الأسدي، الدكتور يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف الأشراف، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، ص ٤٥.

- **الإقرار بملكية البيت للزوجة وعدم إهانتها أو ضربها**

ومنه قول الشاعر: مشمت بن عبده [١]:

وما أنا بالساعي إلى أمّ عاصمٍ لِأضربَهـــا إنّـــي إذاً لَجَهُـــولُ
لكِ البيتُ إلاّ فينةً تُحْبَسينهـــا إذا حانَ مِنْ ضيفٍ عَلَيَّ نُزولُ
وما أنا بالمُقتاتِ ما في وعائها لأعلمــه إنّـــي إذاً لَسَـــؤُولُ [٢]

فالشاعر ينفي عن نفسه إهانته زوجه أو ضربها، كما يقر بملكية الزوجة التامة للبيت إلا ساعة ينزل فيها الضيف، كما أنه لا يأخذ ما يخصها ليتطفل عليها في شؤونها، فيكون كثير المسألة مذموماً .

والشاعر هنا يقدر زوجه ولا يهينها أبداً بالضرب أو سؤال ما ليس له من أمورها الخاصة، لذا كان قوله: **(إذاً لَجَهُـــولُ)**، **(إذاً لَسَـــؤُولُ)** جواباً عن أي تساؤل عن سبب ضرب الزوجات أو سؤال ما يخصهنّ، فإنه لا يكون إلا عن جهل أو تطفل، كما نجح الشاعر في الالتفات من أسلوب الغيبة في الحكاية عن زوجه في قوله: **(لِأضربَهـــا)** في البيت الأول إلى أسلوب الخطاب في البيت الثاني **(لكِ البيتُ)**؛ لتذكير الزوجة بحرص الزوج على عدم إلحاق أي ضرر جسدي أو نفسي لها .

والصورة كما نرى حضارية رائعة اتسم فيها الزوج بالرفق في معاملة زوجه، كما أجاد استخدام كلمة **(وعائِها)** التي دلت على ملكية الزوجة لأموالها وشؤونها الخاصة، وعلى فهم الزوج واحترامه لهذا.

---

(١) لم أعثر على ترجمة له، ونص على ذلك أيضاً المرزباني في كتابه الأعلام، ص٥١٣.

(٢) النفاسة في شرح الحماسة، تأليف أبي عبد الله محمد محمد بن قاسم بن زاكور، تحقيق دكتور: مصطفى الغفيري، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان١٩٧١م، ص ٣٧٤.

المبحث الثاني

القيم الحضارية للخلافات الزوجية في شعر العصر الجاهلي

أولا: الخلافات الزوجية وطرق حلها .

وعلينا أن نتوقف عند مرحلة مهمة في الحياة الزوجية وهي: " الخلافات الزوجية " وهي من الأمور التي لابد أن يستوعبها كلا الزوجين، فالحياة الزوجية لا تخلو من الخلافات، ولا بد أن يكون لكل طرف القدرة على تفهم موقف الطرف الآخر، والقدرة على التعامل مع الخلاف على حسب درجته وأهميته.

وبعض الأزواج لا يرعى هذه الخلافات انتباهاً كافياً، أو لا يهتم بحلها بشكل حاسم، فتتراكم وتسبب المزيد من المشكلات أكثر تعقيداً، والتي ما كانت لتتفاقم لو تم التعامل معها فوراً، وبعض الأزواج يبالغ في ردود الفعل تجاه هذه الخلافات ويعدها بداية نهاية العلاقة، ونحن نقول لهؤلاء وأولئك أنتم بحاجة إلى التعامل بوعي مع الخلافات الزوجية، وبحاجة إلى تعلم فن إدارة هذه الخلافات، وفي أشعار العصر الجاهلي القادمة روشتة لإدارة الخلافات الزوجية.

فقد صورت الأبيات في العصر الجاهلي كثيراً من المشكلات والخلافات الزوجية تشبه إلى درجة كبيرة ما يجري في مجتمعاتنا الآن، وقد تناوب الشعراء عرض تلك المشكلات وطرق حلها التي بلغت درجة من الوعي والفهم لطبيعة المشكلة، و التحضر والرقي لطرق حلها ما يجعلها تصلح لكل الأزمان والأماكن.

وسوف أقف على النماذج التي تبين تنوع الخلافات، وكيف تمتع الطرفين بحق الاستمرار في الحياة الزوجية أو فض تلك الحياة، وكان ذلك في أسلوب راق في التعامل، فالشاعر إنسان مرهف الحس بطبعه يجد في الشعر متنفس له ونبض لوجدانه فيحمل أفراحه وأحزانه في قصائده الوجدانية التي نرى فيها وجهاً من وجوه الحقيقة الإنسانية، وربما نرى فيها جزءاً من انفعالاتنا وأحداثنا.

ننظر إلى هذه القصيدة للشاعر عبيد بن الأبرص [١] التي يقول فيها:

تِلْـكَ عِرْسِـي غَضْـبَى تُرِيْـدُ زيـالِي ... أَلَبَيـــنٍ تُرِيـــدُ أَمْ لِـــدَلالِ
إنْ يَكُـــنْ طِلبُّـكِ الفِـراقَ فـــلا أحْـ ... ـفِـلُ أنْ تَعْطِفـي صُـدُور الجمـالِ
أن يكُـــنْ طِلبـكِ الـــدَّلالَ فَلَـــوْفي ... سـالِفِ الـدَّهْرِ واللَّيـالي الخَـوالي
ذاكَ إذْ أنـــــتِ كالمهـــــاةِ وإذْاً ... تِيْـكِ نَشْـوانَ مُرْخيـــاً أَذْيـــالي
فَـــدعِيْ مَـــطْ حاجبَيْـكِ وَعِيْشِـــي ... مَعَنـــا بالـــرَّجاءِ والتَّأْمـــالِ
زعَمَـــتْ أننـــي كَبِـــرْتُ وأنّـــي ... قَـلَّ مـالِي وضَـنَّ عَنّـي المـوَالي
إن رَأَتنـــي تَغَيَّـــرَ اللَـــونُ مِنّـــي ... وَعَـلا الشَـيبُ مَفرِقـي وَقَـذالي
بِحَـــظٍّ مِمّـــا نَعـــيشُ فَـــلا تَـــذ ... هَـب بِـكِ التُّرَّهـاتُ فـي الأَهـوالِ
مِـــنهُمُ مُمسِـــكٌ وَمِـــنهُم عَـــديمٌ ... وَبَخيـــلٌ عَلَيـــكِ فـــي بُخّـــالِ
فَارفُضـي العـاذِلينَ وَاِقنَـي حَيـاءً ... لا يَكونـوا عَلَيـكِ حَـظَّ مِثـالي[٢]

وهذه القصيدة تحمل مشهداً حياً من مشاهد حياة الشاعر الحقيقية وأزمة عاطفية مر بها الشاعر في بيته مع زوجه، فقد قل ماله ولم يستطع القيام بحاجات الوافدين عليه، فانصرف الناس عنه وملت زوجه – التي كانت تعيش في ترف وجاه – الظروف القاسية الجديدة وأكثرت الشكوى منه، وأظهرت رغبتها في الرحيل وعدم الاستمرار .

وهنا كان موقف الزوج الحازم العاقل الذي أجاد التصرف – بصورة حضارية رائعة – عندما أدرك أن زوجه تأثرت بما أصابه من الكبر والفقر الذي سبب في سقوط جاهه ومكانته، فواجهها بصرامة أن تقلع عن هذه التصرفات الطائشة، وألا تفقد الأمل وتستسلم إلى هذه الأزمة العارضة وأن تكون أكثر حياء ووفاء

(١) عبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح ، بنوه من أشراف العرب، وإليهم يشير الأعشى بقوله: " ولست من الكرام بني عبيد "،الأعلام للزركلي، الجزء الرابع، ص ١٨٨.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح دكتور حسين نصار، مطبعة البابلي، الحلبي مصر، ١٩٧٥م، ص ١٠٦، ١٠٧.

لزوجها، ويدعوها بلطف بالبقاء والعيش معه، ويذكرها أنها كبرت مثله ولن تجد من يحنو عليها مثله وإذا فكرت في الذهاب إلى ذوي القربى لتجد معهم السكن والأنس لن يتحملها أحد إما بخلاً أو لضيق ذات اليد.

ومنه قول سلمى بن ربيعة [١]:

حلَّتْ تُماضِرُ غَرْبَةً فاحتلَّتِ فَلْجًا وأَهْلُكَ باللِّوَى فالْحِلَّتِ[٢]

وكأنَّمَا فِي العينِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ أَو سُنبُلاً كُحِلَتْ بِهِ فانهلَّتِ

زعَمَتْ تُماضِرُ أَنَّنِي إِمَّا أَمُتْ يَسْدُدْ أُبَيْنُوهَا الأَصاغِرُ خَلَّتِي

تَرِبَتْ يداكِ وهلْ رأَيْتِ لقومِهِ مِثلِي على يُسري وحينَ تعلتي[٣]

فالشاعر فارقته زوجه تماضر وقد عاتبت عليه استهلاكه للمال وتعريضه نفسه للهلاك، فلحقت بقومها مع أبنائها، وتلهف زوجها عليها وتحسر على فراقها وبكى عليها ثم أقبل يوبخها ويخطئ رأيها ويكذب ظنها ويقبح اختيارها في إفاتة نفسها الحظ منه، ويدعو عليها بالفقر والبأساء والخيبة في الرجاء، ويستفهم متنكرا أنها لن تجد في قومه من يماثله في حالتي السراء والضراء حتى تعلق رجائها به إذا أخلى الزوج مكانه .

وكأن هذه الأبيات السابقة لعبيدة بن الأبرص وسلمى بن ربيعة هي صورة حقيقية لما يحدث في مجتمعنا الآن فالفقر أو تقدم عمر الزوج هو أحد أسباب الطلاق، فبعض الزوجات يرغبن في الانفصال عندما يضيق الحال بزوجها، وتفكر في الذهاب إلى أقاربها لعلها تجد منهم من يعيلها، ولكن في الحقيقة هي

---

(١) سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة الضبي. كان جواداً شاعراً جاهلياً، معجم الشعراء، الجزء الأول، ص ٦٤ .

(٢) الفلج واللوى والحلة، أسماء مواضع . شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي، تحقيق: غريد الشيخ الناشر، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م، الطبعة الأولى، ص ٥٦٤.

(٣) السابق ، ص ٥٦٤.

تجري وراء أوهام، فلن يعيلها أحد أو يكفلها قريب، وعليها أن تتحمل حتى تمر الظروف وتتعدل الأحوال .

وأحياناً تكون الخلافات الزوجية تأتي مع تقدم عمر أحد الزوجين أو كلاهما فيشعر أحد الطرفين أو كلاهما بعجز الطرف الآخر عن العطاء أو ممارسة الحياة معه بصورة طبيعية .

ومنه قول الشاعر مقرن بن مطر التميمي [١]:

تقــولُ المــالكِيّةُ أمُّ قــيسٍ رأيــتُ مُقَرِّنــا دُونَ المعيــبِ
رأيتُــكَ دونَ مــا قــالوا وأنَّــى فــلاحُ المــرءِ مــن بعــدِ المشــيبِ
ومــا يــدريكِ مــا حسـبي إذا مــا وجـوهُ القــومِ كانـت كالصَّـبِيْبِ[٢] [٣]

فكبر السن كان السر وراء خيبة أمل الزوجة في زوجها، وقد توقع الشاعر أن يشفع له منزلته ومكانته العالية بين قومه، ولكن مع ذلك رأته زوجه دون ما بلغها بالغيب عنه.

وننظر إلى الشاعر كعب بن زهير[٤] التي نشزت عليه زوجه بعد طول العشرة بينهما بسبب تقدم عمر الزوج:

أَلا بَكَــرت عِرســي تَلــومُ وتَعــذُلُ وَغَيـرُ الَّـذي قالَـت أَعـفُّ وَأَجمَـلُ
وَلَمــا رَأَت رَأسَــي تَبَــدَّلَ لَونُــهُ بَياضـاً عَـن اللَـونِ الَّـذي كـانَ أَوَّلُ
أَرَنَّت مِنَ الشَيبِ العَجيبِ الَّذي رَأَت وَهَـل أَنـتِ مِنـي وَيـبَ غَيـرِكِ أَمثَـلُ
كِلانــا عَلَتــهُ كُبــرَةٌ فَكَأَنَّمــا رَمَتـهُ سِـهامٌ فـي المَفَـارِقِ نُصَّـلُ[٥]

---

(١) مقرن بن مطر بن ناشرة من بني مازن بن عمرو بن تميم جاهلي، معجم الشعراء، الجزء الخامس، ص ٥٠.

(٢) الصبيب / العرق، لسان العرب، مادة / صبب.

(٣) معجم الشعراء، الجزء الخامس، ص٥٠.

(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية، الأعلام للزركلي ، الجزء الخامس، ٢٢٦ص.

(٥) ديوان كعب بن زهير، المؤلف كعب بن زهير، المحقق علي فاعور، الناشر دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ٣٣.

فالزوجة تلوم زوجها وتشكو تقدمه في العمر، بينما يستفهم الزوج متعجبا من حالها ؛ لأنها ليست أقل منه شيباً حتى تلومه وتسوء عشرته .

كما نجح الشاعر في التعبير عن مباغتة الشيب لهما وعدم قدرتهما على دفعه في قوله: **(رَمَتهُ سِهامٌ في المَفَارِقِ نُصَّلُ)** كأن الشيب سهام لم يستطيعا دفعها.

كما أوحى الإستفهام في قوله:**(وَهَل أَنتِ مِني وَيبَ غَيرِكِ أَمثَلُ)** معنى المفارقة فهي تشكو من الشيب الذي أصابه، وقد أصابها الشيب هي الأخرى .

وفي أبيات أخرى قرر كعب بن زهير أن يتحمل غضب زوجه مجاملة لها، فهي في النهاية أم أولاده وعليه الصبر عليها، يقول الشاعر:

ليت الشَّبَابَ حَلِيفٌ لا يُزَايِلُنا ... بل ليته ارتدّ منه بعضُ ما سلفا
ما شَرُّها بعد ما ابيضَّتْ مَسَائحُها ... لا الود أعرفه منها ولا اللَّطفا
لَوْ أَنها آذَنَتْ بِكْراً لقلتُ لها ... يا هَيْدَ مالكِ[1]، أو لو آذَنَتْ نَصَفا
لولا بَنُوها وقولُ الناسِ ما عُطِفَتْ ... عَلَى العِتابِ وَشَرُّ الودّ ما عُطِفَا
فَلَنْ أَزالَ وإنْ جَامَلْتُ مَضْطغِناً[2] ... في غير نائرةٍ[3] ضبًّا [4]لها شَنفَا[5] [6]

فالشاعر لا يرى من زوجه لطفاً ولا وداً ؛ بسبب تقدمه في العمر ولو كان الأمر بيده لأصبح حليفاً للشباب طيلة عمره وما خالفه .

والزوجة لا ترغب في البقاء، والزوج لا يوافق زوجه في رغبتها، ويؤكد لها أنها لو فعلت هذا وهي بكر أو نصف بين الشباب والشيخوخة لم يسألها أو

---

(١) يا هيد مالك: من كلام العرب إذا استفهموا رجلاً عن حاله، لسان العرب مادة هيد .
(٢) المضطغن: المعاتب وليس العدو الحاقد، لسان العرب مادة / ضغن.
(٣) النائرة: التباعد، لسان العرب، مادة / نور.
(٤) ضباً: حقداً، لسان العرب، مادة / ضبا .
(٥) شنفاً: البغض، لسان العرب، مادة / شنف .
(٦) ديوان كعب بن زهير، ص ٥٥.

يجادلها، ولكن بعد أن فارقت الشباب وأصبحت حالها كحاله في الشيب فلا أساس للسؤال والجدال .

وفي النهاية فإن الشاعر باق على زوجه ؛ لكونها أم أولاده وتحسباً لكلام الناس ولومهم .

وهنا كانت تجربة الشاعر الذكية الحضارية التي توحي للقارئ أن السبب في المشاحنات ليس تقدم العمر والشيب الذي يصيب أحد الزوجين أو كلاهما، ولكن السبب الحقيقي هو قلة المشاركات الوجدانية والإنسانية وحسن العشرة بينهما، وأن السعادة الزوجية لا يجب ربطها أبداً بمرحلة عمرية .

وأحيانا تكون الخلافات بسبب بعض القلوب الجاحدة التي تكره ولادة البنات، ويبدون التأفف والسخط ويبالغون في الصد والهجر، فيظلمون بناتهم سيئات الحظ بهم، ويظلمون معها الأم التي لا حيلة لها معهم، ننظر إلى هذه الأبيات التي قالتها زوجة أبي حمزة [١] التي ولدت بنتاً فهجر زوجها خيمتها إلى أن مر يوماً بخبائها وهي ترقص ابنتها، وسمعها تقول من الرجز:

مـــا لأبـــي حَمـــزةَ لا يَأتينـــا؟! يَظـــلّ فـــي البيـــتِ الّـــذي يَلينـــا
غَضـــبان أَن لا نلـــدُ البَنينـــا تَـــاللَّه مـــا ذلـــكَ فـــي أَيدينـــا
وَإنّمـــا نَأخـــذُ مـــا أُعطينـــا وَنَحـــنُ كَـــالأرضِ لِزارِعينـــا
ننبتُ ما قَد زَرعوهُ فينا [٢]

(١) لم أقف على اسمها ولا على ترجمة لها، ووردت الأبيات في كتاب قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧١م، ص١٤٣، وكتاب معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام خطوة نحو معجم متكامل، إعداد عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طبعة ١٩٩٠م، ص٦٠.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر، مكتبة الخانجي ١٩٩٨م، ١٤١٨هـ ، الطبعة السابعة، الجزء الأول، ص ١٨٦ .

فما كان من أبي حمزة إلا أن يدخل البيت ويقبل الوالدة والمولودة .

وللأسف ما زال في هذا الزمن الذي يعج بوسائل المعرفة والعلم رجال ما زالوا يحملون لوثات الجاهلية، وعقلية أبي حمزة عندما هجر أم ابنته بسبب أنها لم تنجب له الولد، فلا يعترفون بقيمة عطاء الله ﷻ، ويجحدون نعمائه، ويعترضون على مشيئته سبحانه وتعالى، وقد عالجت الشاعرة الأمر ببراعة شديدة وفراسة قوية، وأن الأمر ليس بيديها إنما هي كالأرض تنبت ما يزرع فيها، وهي في الواقع تصور حقيقة علمية في صورة فنية رائعة إذ أثبت العلم الحديث الآن أن المسؤول عن نوع الجنين هو الرجل وليست المرأة .

وننظر إلى هذه الأبيات التي تظهر خلافاً بين زوجين، الشاعر زهير بن أبي سلمى[1] وزوجه أم ولده كعب، والتي يقول فيها:

وَقالَـــت أُمُّ كَعـــبٍ لا تَزُرنـــي ... فَـــلا وَاللهِ مالَـــكَ مِـــن مَـــزارِ
رَأَيتُـكَ عِبتَنـي وَصَـدَدتَ عَنّـي ... وَكَيـفَ عَلَيـكَ صَـبري وَاِصـطِباري
فَلَـم أُفسِـد بَنيـكَ وَلَـم أُقَـرِّب ... إِلَيـكَ مِـنَ المُلِمّـاتِ الكِبـارِ
أَقيمـي أُمَّ كَعـبٍ وَاِطمَئِنّـي ... فَإِنَّـكِ مـا أَقَمـتِ بِخَيـرِ دارِ[2]

فهذه الأبيات تظهر خلافاً بين الزوجين، والزوجة ترفض مقابلة زوجها ظناً منها أنه سيعيبها ويهجرها، وتعلل ذلك الرفض بأنها قامت بجميع واجباتها الأسرية على الوجه الأكمل، فقد أنجبت فرساناً أشرافاً، وقامت بتربيتهم التربية السليمة كما أنها صانته في عرضه فلم يدخل فراشه غيره، ومع هذا الرفض من الزوجة، فالزوج يتودد إلى زوجه ويدعوها للإقامة في بيتها مكرمة مصونة.

---

(١) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية، ومن أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، الأعلام للزركلي، الجزء الثالث، ص ٥٢.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى، صنعه الأعلم الشنتمري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشوات دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٠م، الطبعة الثالثة، ص٦٥.

وقد نجح الشاعر هنا في رسم المشهد حي أمام أعين القارئ تعانقت فيه الأساليب الخبرية والإنشائية، في أسلوب حواري شائق ظهرت فيه الزوجة حزينة من تصرفات الزوج عاتبة له عدم زيارته لها ومواصلتها، في الوقت الذي يحاول الشاعر تهدأتها والتقرب إليها .

والصورة كلها رائعة دلت على درجة من التحضر والرقي في التعامل وقت الخلافات، فالزوجة تتكلم بهدوء لأنها تعي حقوقها وواجباتها، والزوج لا يعيب كلامها ولا ينتقده بل يترك لها الحرية في دعوة إلى الصلح والتفاهم .

ثانياً: الطلاق وقرار الانفصال بين الزوجين

وعلينا أن نتوقف عند مرحلة قد تأتي لا محالة وهي (الطلاق)، فكما أعطى المجتمع الجاهلى المرأة والرجل الحق في اختيار شريك العمر أعطاهما الخيار في البقاء معاً أو الفراق عندما تسوء العشرة بينهما ولا يمكن التوفيق والصلاح، فليست العلاقة الزوجية ملزمة لطرفيها، فقد يحدث مايؤدي إلى الانفصال لأي سبب من الأسباب .

يقول الشاعر (المرقش الأصغر) [1]:

آذَنَتْ جارَتِي بِوَشْكِ رَحيلِ ... بِاكِراً جاهَرَتْ بخَطْبٍ جَلِيلِ
أَزْمَعَتْ بالفِراقِ لَمَّا رَأَتْنِي ... أُتْلِفُ المالَ لا يَذُمُّ دَخِيلي
ارْبِعِي إنَّما يَرِيبُكِ مِنِّي ... إرْثُ مجْدٍ وَجِدُّ لُبٍّ أَصِيلِ
عجباً ما عَجِبْتُ لِلْعاقِدِ الما ... لِ ورَيْبُ الزَّمانِ جَمُّ الخُبُولِ
وَيضِيعُ الذي يَصِيرُ إليهِ ... مِنْ شَقاءٍ أَوْ مُلْكِ خُلْدٍ بجيلِ
أَجْمِلِ العَيْشَ إنَّ رِزْقَكَ آتٍ ... لا يَرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرْوى فَتِيلِ[2]

---

(١) (المرقش الاصغر) ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، شاعر جاهلي، من أهل نجد، كان أجمل الناس وجها، ومن أحسنهم شعرا. وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد، الأعلام للزركلي، الجزء الثالث ص ١٥ .

(٢) شرح اختيارات المفضل، صنعه الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الثاني ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١١٦.

فهذا المرقش الأصغر الذي تلومه زوجه دائما على الإسراف وتدعوه دائماً إلى المحافظة على أموال أسرته، وعلى النقيض من ذلك يرى الزوج أن الإنفاق هو الطريق لتحقيق الأمجاد فلا يرى نفسه إلا كريما جواداً ينفق المال لمن يستجير به، والزوجة ترى أن من حقها أن تراقب أفعال زوجها، وتناقشه عن أعماله، وتسأله عن تصرفاته وتدعوه إلى الاستقامة، ومن وجهة نظرها أن بعلها، وما مَلَكَ، إنما يعود شره وخيره عليها، لذلك فهي تحرص أشد الحرص على ماله، وترى من حقوقها أن تلومه إن أسرفَ فتدعوه إلى الاعتدال، وقد تعنف أو تقسو في لومها.

والصورة حية نابضة بالحركة، عكست الوجه الحضاري للنقاش وقت الخلاف، فالزوجة عزمت على أمر خطير وهو الطلاق، وما يعكسه من انفعال وهياج وثورة وغضب وقت اتخاذ هذا القرار (**أَزْمَعَتْ بالفِراقِ**)، ثم تهدئة الزوج لها وطمئنتها (**ارْبِعِي**) وشرح الأسباب التي تجعلها تشك في تصرفاته وهو جهلها سبب الانفاق، فهو يريد أن يحافظ على مجد آبائه (**إنَّما يَرِيبُكِ مِني إرْثُ مجْدٍ وَجِدُّ لُبّ أَصِيلِ**) .

وقد أجاد الشاعر التعبير عن الفراق بأنه (**خَطْبٍ جَلِيلِ**)، فمع اقتناع الزوج أن الطلاق أمر مكروه وحل لايرغب فيه، ولكنه أمام تمسك زوجه به، وإرغامه عليه يرى أنه الحل الأخير.

ويؤيده في الرأي عامر بن الطفيل [1] عندما تعذر التفاهم بينه وبين زوجه فصار الطلاق هو الحل الأمثل، يقول الشاعر:

وقد أصبَحَتْ عِرْسي الغَداةَ تلومُني ... على غَيرِ ذَنْبٍ هَجرُها وصُدودُها
فإنّي إذا ما قُلتُ قَوْليَ فانْقَضَى ... أتَتْني بأُخرَى خُطّةٌ لا أُريدُهَا

(١) عامر بن الطفيل الكلابي العامري الهوازني شاعر جاهلي وفارس فتاك وسيد من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن، ينظر الوافي بالوفيات، المؤلف صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة النشر ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص١٢٠.

فَـلا خَيـرَ فـي ودّ إذا رَثّ حَبْلُـهُ وخَيـرُ حِبـالِ الوَاصِـلينَ جَديـدُهَا[1]

كما صور ذلك نبيهُ بنُ الحجاج السهمي [2] الذي طلبتا منه زوجتاه الطلاق خوفاً من الفقر لكثرة انفاقه:

تلـك عِرْسـايَ تنطقـان بِهُجْـرِ وتقـولان قَـوْلَ زُورٍ وهِتْـرِ
تسـألاني الطـلاقَ أنْ رأتـاني قـلَّ مـالِي قـد جئتمـاني بِنُكْـر
فلعلـيّ أنْ يَكْثُـرَ المـالُ عِنْـدِي ويُخلَّـى مـن المغـارم ظَهْـرِي
ويُـرَى أعْبُـدٌ لنـا وجِيَـادٌ ومَنَاصِـيف مِـنْ وَلائِـدَ عَشْـر
وَيْكَـأَنْ مَـنْ يكـن لـه نَشَـبٌ يُحْبَـبْ وَمـنْ يفتقـر يَعِـشْ عَـيش ضُـرّ [3]

فالشاعر يرى أن الطلاق أمر مكروه ولا يرغب فيه، ولكنه مع ذلك لا يملك دفعه بعد أن صممت زوجتاه عليه، لذلك حاول قدر استطاعته أن يثنيهما عن هذا القرار على أمل أن تتغير الأحوال فيكثر ماله ويربى الخير عنده ويسدد ديونه، ولكنه في النهاية مغلوب على أمره ولا يملك دفع هذا القرار ؛ لذلك ختم الأبيات بحكمة أن أصحاب المال هم دائماً المحببون دون غيرهم الذين يصيبهم الفقر.

وقد يكون السبب تطاول الزوجة بالشتم أو السب لأهل زوجها، فقد سبَّت زوجة دريد بن الصمة [4] زوجها لجزعه على أخيه وشتمته وصغرت به، يقول الشاعر:

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل، الناشر، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م ص٤٧.

(٢) هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين، معجم الشعراء، ص٣٠٠.

(٣) الأغاني – (لأبي الفرج الأصفهاني)، تحقيق سمير جابر، الناشر دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، الجزء ١٧، ص ٢٨٣.

(٤) دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن، وكان شجاع من الأبطال الشعراء، المعمرين في الجاهلية وكان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الاسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، الأعلام للزركلي، الجزء الثاني، ص ٣٣٩.

أعبـــدَ الله إنْ سَبّتـــك عِرْســـي تقـدّم بعـضُ لحمـي قبـلَ لحمـي
إذا عِـرسُ امـرئ شـتمتْ أخـاه فلـيس فـؤادُ شانئـه بحمـض
معـــاذَ الله أن يشـــتمْنَ رَهْطـــي وأنْ يملكـنْ إبرامـي ونقضـي[1]

فالشاعر شعر بالإهانة بعد أن سبت زوجه أخاه، وعد إهانة أخيه إهانة له؛ لذلك قرر أن الأمر بيده في الابتعاد والانفصال، وهو من يملك نقضه أو إبرامه .

والصورة كما نرى (**حضارية**) فيها توصية لكلا الزوجين أن يراعي حق الآخر في أقاربه، وألا يذكر أحداً منهم بسوء، لأن ذلك يجلب النفرة ويوغر الصدور بينهما، وكم من زوج تحدث أمام زوجه بسلبيات أهلها وسقطاتهم أو العكس – وهو مَن هو في جلالة قدره عند الآخر – فأحدث ذلك خللاً في العلاقة وألماً في القلب أمات روح المودة الزوجية النابضة في حياتها .

ولسنا هنا نلزم أحداً منهما بمحبة أقارب الآخر، فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، ولكن نُحتِّم عليهما أن يحفظ كل زوج لصاحبه كرامته وعرضه ومشاعره، وأقارب كلا الزوجين يجب احترامهم وتقديرهم وعدم الإساءة إليهم.

وقد يكون الزواج بائساً بسبب تقلب مزاج الزوجة، فتسبب المتاعب لزوجها:

ومنها هذه الأبيات لعلباءَ بن أرقم [2]، والتي نرى فيها صورة لحياة زوجية مضطربة لم تكن سعيدة إذ يقول:

أَلا تِلكُمـا عِرسـي تَصُـدُّ بِوَجهِهـا وَتَـزعُمُ فـي جاراتِهـا أَنَّ مَـن ظَلَـم
فَيَومـــاً تُوافينـــا بِوَجـــهٍ مُقَسَّـــمٍ كَـأَنَّ ظَبيَـةٍ تَعطـو إِلـى ناضِرِ السَلَم

(١) الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، الناشر دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية ، ٢٠١٠م، الجزء التاسع ، ص ٢٧.

(٢) علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن يشكر بن بكر وائل، شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر، معجم المرزباني، الجزء الثالث، ص ٣٠٤.

وَيَومـــاً تُريـــدُ مالَنـــا مَـــعَ مالِهـــا فَـــإِن لَـــم نُنِلهـــا لَـــم تُنِمنـــا وَلَـــم تَـــنَم
نَبيـــتُ كَأَنّـــا فـــي خُصـــومٍ عَرامَـــةً[1] وَتَســـمَعُ جـــاراتي التَـــأَلّيَ[2] وَالقَسَـــم
فَقُلـــتُ لَهـــا إِن تَنـــاهَى فَـــإِنَّني أَخو النُكرِ حَتّى تَقرَعي السِنَّ مِن نَدَم[3]

فالزوجة متقلبة في مزاجها – كحال معظم الزوجات الآن – فيوم تأتيه بوجه مشرق ويوم عابسة الوجه مبالغة في طلباتها المالية، وإذا تأخر الزوج في الإجابة طيرت النوم من عينيه وانقلبت إلى حالة من الصراخ والهياج،وملأ ضجيجها بيوت الجارات، فحذرها زوجها بأن لم تنته عما تفعل فسوف تندم ندامة العمر، ولعل الزوج يقصد بهذا عزمه على طلاقها إذا أصرت على فعلها.

ومثلها زوجة جران العود النميري [4]، والتي وصف زوجها الشاعر ما لقيه منها في صورة فكاهية طريفة:

تَرَى رَأْسَهَا فِي كُلِّ مَبْدًى وَمَحْضَرٍ شَعَالِيلَ لَمْ يُمْشَطْ وَلَا هُوَ يُسْرَحُ
وَإِنْ سَرَحَتْهُ كَانَ مِثْلَ عَقَارِبٍ تَشُولُ بِأَذْنَابٍ قِصَارٍ وَتَرْمَحُ
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا غُدْوَةً طَالَ بَيْنَنَا سِبَابٌ وَقَذْفٌ بِالْحِجَارَةِ مِطْرَحُ
أُجَلِّي إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ وَأَتَّقِي حِجَارَتَهَا حَقًّا وَلَا أَتَمَزَّحُ
عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالْتَحَيْتُ جِرَانَهُ وَلِلْكَيْسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
خُذَا حَذَرًا يَا خُلَّتَيَّ فَإِنَّنِي وَجَدْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ[5]

(١) العرامة: الشر، لسان العرب مادة / عرم .
(٢) التألي: إذا اجترأ على أمر غيب فحلف عليه، لسان العرب، مادة / ألا.
(٣) الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك الأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٣م، ص ١٥٧-١٥٨.
(٤) جران العود النميري من بني نمير وقد اختلفت في اسمه ونسبه، فقيل هو المستورد، وقيل: عامر بن الحارث بن كلفه، ينظر ديوان جران العود النميري، رواية أبي سعيد السكري، المؤلف جران العود النميري، دار الكتب المصرية، سنة النشر ٢٠٠٠م، الطبعة الثالثة، ص٤٤.
(٥) ديوان جران العود النميري، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ، ١٩٣١م، ص٣٩.

فالزوج يصف في هذه القصيدة ما كان يلقاه في زواجه منْ متاعب، بعد أن تزوج من امرأة خدع في جمالها، بعد أن ظهرت على حقيقتها دون تبّرج، ثم يشرح في صورة طريفة أحاسيسه مع زوجه، وما قاساه من الشتائم والضّرب الذي يلقى عليه كلّ صباح، حتى إنه فضّل أن يضربها، فالضرب معها قد يكون الحل.

وقد أجاد الشاعر التصوير الجيد لزوجه المهملة في منظرها في صورة كاريكاتورية فيها شيء من المرح والطرفة وروح الفكاهة، فالزوجة في كل مكان بادية أو حضر شعرها مشعث منفوش، وإن سرحت بدا خصلاً ناشزة مرتفعة كأنها عقارب ترفع أذنابها تريد أن تلسع بها من يقترب منها، وهي متهورة تجعله ينظر من بعيد كي يعرف مكانها فيتقي رمي حجارتها .

ثم ينصح الشاعر زوجه في نهاية الأمر بأن تأخذ حذرها منه لأنه سيجلدها بسوط مصنوع من جلد البعير المسن حتى يكون شديد الضرب قوي التأثير .

وهذه النماذج كلها فيها من الصور الحضارية التي تدل على ضرورة توازن العلاقة بين الزوج وزوجه، وعلى أحقية الزوجة في طلب الفراق ؛لأن العلاقة بين الزوجين هي في حقيقتها عقد يتم بالاتفاق وينتهي برغبة أحد الطرفين أو كليهما بفسخ العقد، ومع هذا فقد وضحت الأبيات أن الطلاق أمر مكروه، ولكنه ضروري حينما يصير حلاً لمشكلات يتعذر معها استمرار الحياة الزوجية ؛لاختلاف الأمزجة أو الاحتياجات أو الطبائع الإنسانية .

الخاتمة

(١) قدم شعراء العصر الجاهلي في قصائدهم عن حياتهم الزوجية صورة واقعية، وهي صورة معهودة عند شعراء الجاهلية، وقد نجحوا في استخدام الصور الفنية التي ساعدت على إبراز التجربة حية أمام أعين القارئ .

(٢) القيم التي طرحتها هذه النماذج مرهونة بخلفية حضارية وإنسانية عميقة، وذلك هو السر في بقاء معظم الأسر العربية متماسكة قوية حتى ولو دهمتها المخاطر، رغبة منها دائما بالسلام والاستقرار ؛ لذلك كان أحد الطرفين دائما يسعى جاهدًا إلى نبذ الخلافات والعمل على التقارب والتحاب، كما أن بعض الأسر سعت إلى إحلال مبدأ الحوار وتحسين العلاقات الزوجية هادفة من وراء ذلك كله إلى رعاية مصالح الأسرة وحماية الأبناء .

(٣) أوضحت الأبيات أن رباط الزواج يعني التفاعل الحي بين الزوج وزوجه، وعندما يكلل بالنجاح يبني أسرة متوازنة تثمر فيها علاقات حية بين الزوجة وأهل الزوج والزوج وأهل الزوجة، كما تظهر فيها حرمة العلاقة الزوجية وترابط الأبناء والسعي دائماً لعدم تصادم ميول الزوجين.

(٤) دلت الأبيات السابقة على امتلاك المرأة الحق في فسخ عقد الزواج، مما يدل دلالة واضحة على توازن العلاقة بين الرجل والمرأة،وعلى امتلاك المرأة كل حريتها وإنسانيتها.

(٥) أبانت الأشعار أيضاً على أن الطلاق أمر مكروه ومنكر، ولم يكن شائعاً في العصر الجاهلي، لذلك لم يقدم عليه إلا من تعذر عليه الاستمرار، فيكون الطلاق هو الحل الأخير ؛ لاختلاف المفاهيم أو الأمزجة أو الحاجات .

توصيات البحث

الأدب الجاهلي كنز ضخم، وفيه من المعان الحضارية والإنسانية التي تستحق الدراسة والبحث كقضايا السلام والحرب، وقضايا التربية والأخلاق، وقضايا السيادة وتولي الحكم، مما يحتاج معه إلى إعادة النظر، وحسن توجيه بما يتوافق مع متطلبات العصر الحالي.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الأحاديث الشريفة

(١) دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، مصر، الجزء الثاني، ١٩٧٠م .

(٢) المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ ومسانيد الحميدي وسنن الدرامي، وصحيح بن خزيمة، المؤلف: بشار عواد معروف – السيد أبو المعاطي النوري – أحمد عبد الرازق عيد، أيمن إبراهيم الزاملي – محمود محمد خليل، الناشر دار الجيل، الجزء العاشر، سنة النشر ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

ثالثاً: المصادر

(٣) أحكام القرآن، لأحمد بن علي المكنى بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء الكتب العربية، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، المجلد الخامس .

(٤) الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك الأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م .

(٥) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، الجزء الثالث، مايو ٢٠٠٢م .

(٦) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، الناشر دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

(٧) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م، ١٤١٨هـ.

(٨) حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء كمال الدين الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ .

(٩) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي، تحقيق: غريد الشيخ الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م، الطبعة الأولى .

(١٠) الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مطبعة دار المعارف، مصر ١٩٦٦م.

(١١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وزميلاه، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٦٥م، الطبعة الثالثة، الجزء السادس.

(١٢) معجم الشعراء، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، المحقق فاروق أسليم، الناشر دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م .

(١٣) معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام خطوة نحو معجم متكامل، إعداد عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٠م.

(١٤) النفاسة في شرح الحماسة، تأليف أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الآسي، تحقيق دكتور: مصطفى الغفيري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الجزء الثالث، ١٩٧١م .

(١٥) الوافي بالوفيات، المؤلف صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة النشر ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م .

رابعاً: المعاجم

(١٦) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مصطفى جواد، طبعة الكويت، مطبعة الصباح بدمشق، تاريخ النشر ١٩٨٤م.

(١٧) لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقى المصرى)– دار الحديث القاهرة سنة ٢٠٠٣.
(١٨) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر مكتبة لبنان، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

خامساً: المراجع

(١٩) شرح اختيارات المفضل صنعه الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت،الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٢٠) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، إبراهيم عبد القادر محمد، دار النشر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر .
(٢١) شعر زهير بن أبي سلمى، صنعه الأعلم الشنتمري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشوات دار الآفاق، بيروت، الطبعة الثالثة،١٩٨٠م.
(٢٢) شعر عمرو بن شأس الأسدي، الدكتور يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف الأشراف، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.
(٢٣) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، طبعة دار المعارف، ١٩٥٢م.
(٢٤) قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧١م.
(٢٥) قراءة متعاطفة مع الشعر الجاهلي، سعد دعبيس، الطبعة الأولى، الصدر لخدمات الطباعة، مدينة نصر، ١٩٨٩ م.
(٢٦) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله عفيفي، مكتبة الثقافة – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية،الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ – ١٩٣٢م .

(٢٧) المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٠م.

(٢٨) المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٦٠ م .

سادساً: الدواوين

(٢٩) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ٢٠١٦م .

(٣٠) ديوان امرؤ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، أعده محمد العلوة، الناشر دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .

(٣١) ديوان جران العود النميري، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ، ١٩٣١م.

(٣٢) ديوان جران العود النميري، رواية أبي سعيد السكري، المؤلف جران العود النميري، دار الكتب المصرية، سنة النشر ٢٠٠٠م، الطبعة الثالثة.

(٣٣) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهاوي، دار المعارف مصر، ٢٠٠٩م.

(٣٤) ديوان عامر بن الطفيل، الناشر، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م .

(٣٥) ديوان عبيدة بن الأبرص، تحقيق وشرح دكتور حسين نصار، مطبعة البابلي الحلبي مصر، ١٩٧٥م .

(٣٦) ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة د/ علي أبو زيد . دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م .

(٣٧) ديوان كعب بن زهير، المؤلف كعب بن زهير، المحقق علي فاعور، الناشر دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .

الفهرس

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤٥٠٣
الدراسة التمهيدية	٤٥٠٩
المبحث الأول: القيم الحضارية للزواج في شعر العصر الجاهلي	٤٥١١
حق المرأة في اختيار شريك الحياة.	٤٥١٢
مشاركة المرأة للزوج في أعباء الحياة.	٤٥١٥
تقدير الزوجة واحترامها .	٤٥١٦
الإقرار بملكية البيت للزوجة وعدم اهانتها وضربها.	٤٥٢٠
المبحث الثاني: القيم الحضارية للخلافات الزوجية في شعر العصر الجاهلي	٤٥٢١
الخلافات الزوجية وطرق حلها	٤٥٢١
الطلاق وقرار الانفصال بين الزوجين	٤٥٢٨
الخاتمة	٤٥٣٤
توصيات البحث	٤٥٣٤
المصادر والمراجع	٤٥٣٥
الفهرس	٤٥٣٩